شرح الأربعين نووية

الحديث التاسع والعشرون .

[عن معاذ بن جبل Bه قال : قلت يا رسول ا أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار قال : لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره ا تعالى عليه : تعبد ا لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال : ألا أدلك على أبواب الخير ؟ : الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وصلاة الرجل في جوف الليل ثم تلا : { تتجافى جنوبهم عن المضاجع } { حتى إذا بلغ } { يعملون } ثم قال ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟ قلت : بلى يا رسول ا قال رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد ثم قال : ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ قلت : بلى يا رسول ا فأخذ بلسانه وقال كف عليك هذا قلت : يا نبي ا وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال ثكلتك أمك وهل يكب الناس في النار على وجوههم - أو قال على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم ؟] .

رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

قوله A : [لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره ا عليه] يعني على من وفقه ا له ثم أرشده لعبادته مخلصا له الدين : يعبد ا لا يشرك به شيئا ثم قال : [وتقيم الصلاة] إقامتها : الإتيان بها على أكمل أحوالها ثم ذكر شرائع الإسلام من الزكاة والصوم والحج ثم قال : [ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنة] المراد بالصوم هنا : غير رمضان لأنه قد تقدم ومراده الإكثار من الصوم [والجنة] المجن أي الصوم سترة لك ووقاية من النار ثم قال : [والصدقة تطفئ الخطيئة] أراد بالصدقة هنا غير الزكاة ثم قال : [وصلاة الرجل في جوف الليل] ثم تلا : { تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون * فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون } معناه : أن من قام في جوف الليل وترك نومه ولذته وآثر على ذلك ما يرجوه من ربه فجزاؤه ما في الآية من قوله { فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون } وقد جاء في بعض الأخبار : أن ا تعالى يباهي بقوام الليل في الظلام يقوم : [إنظروا إلى عبادي وقد قاموا في ظلم الليل حيث لا يراهم أحد غيري : أشهدكم أني قد أبحتهم دار كرامتي] ثم قال : [ألا أخبرك برأس الأمر] إلى آخره : جعل الأمر كالفحل من الإبل وجعل الإسلام رأس هذا الأمر ولا يعيش الحيوان بغير رأس ثم قال [وعموده الصلاة] عمود الشئ هو الذي يقيمه مما لا ثبات له في العادة بغير عمود وقوله : [وذروة سنامه الجهاد] وذروة كل شئ أعلاه وذورة سنام البعير : طرف سنامه والجهاد لا يقاومه شئ من الأعمال كما روى أبو هريرة قال : [جاء رجل

إلى رسول ا A فقال : دلني على عمل يعدل الجهاد قال] لا أجده [ثم قال] هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر ؟ [فقال : ومن يستطيع ذلك ؟] .

وقوله : [ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟] قلت : بلى يا رسول ا قال : فأخذ بلسانه ثم قال : [كف عليك هذا] إلى آخره : حضه أولا على جهاد الكفر ثم نقله إلى الجهاد الأكبر وهو جهاد النفس وقمعها عن الكلام فيما يؤذيها ويرديها فإنه جعل أكثر دخول الناس النار بسبب ألسنتهم حيث قال : [ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم - أو قال على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم ؟] وقد تقدم في الحديث المتفق عليه [من كان يؤمن با واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت] وفي حديث آخر [من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة]